

كتاب التبصر بالتجارة

[في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة ، والاعلاق النفيسة ،
[والجواهر الثمينة]

تأليف

« أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري »

« الملوك عيال على عمر إذا ساس ،
والفقهاء عيال على أبي حنيفة إذا قاس ،
والمحدثون عيال على أحمد بن حنبل إذا أسند ،
والبلغاء عيال على الجاحظ إذا انتخب وأعرب »
ابن سيار

عنى بنشره وأصحححه والتعليق عليه
العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي
أحد أعضاء المجمع العلمي العربي

طبع للمرة الثانية

سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر
٥١٥٢٢

يطلب من مكتبة الخانجي
بشارع عبد العزيز - بمصر
حقوق الطبع محفوظة

كتاب التبصر بالتجارة

للجاحظ
توطئة للناشر

الجاحظ بصرى المولد والوفاء ، بالبصرة وُلد وبها شبَّ ودرج ، وفيها دوّن
غالب تأليفه .

ما بين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا
والبصرة عين العراق »^(١) ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد
الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف
الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أو جنوة لايطاليا وليقربول لبلاد
الأنكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت
مقصد القوافل الواردة من كل حذب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب . من
مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت
فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تتقلب
« بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أصدقاء الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف
المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للتحالي ص ١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصرى ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال :
« يغدو ساكنها قانصاً فيجىء هذا بالشبوط والشيم ، ويجىء هذا بالطبي والظليم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً ^(١) . »
وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادى القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكاפור ، ورأى ضباباً تحترش ،
وغزلاً نأوساً وكأوصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحداً جمال خلف بعيره ^(٢) »
وقد قال الخليل بن احمد البصرى قبله ^(٣) :

زر وادى القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضرات شئت أو بادي
تر به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادي
اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والتراعى على الأسفار البعيدة
والضرب في مناكب الأرض طالبا للرزق والتماسا للثراء ما جعل الجاحظ يصرح :
« بأنه ليس في الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا
إلا وأنت واجد به البصرى والمدنى ^(٤) » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب
الرحلات على بُعد همة البصريين في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال
أبو بكر الهمداني - وناهيك به من خير : « وأبعد الناس نجمة في الكسب
بصرى وحميرى ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى
فيهما بصرياً أو حميرياً ^(٥) . »

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤ (٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ .

(٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠ .

(٥) كتاب البلدان للهمداني (طبعة لندن سنة ١٣٠٢) ص ٥١ .

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الفريزية وجهه استطاع الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الأحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت ، والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالي منها والمتوسط والردى فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نذكره اليوم .

فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمة تهتم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري إفادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى — لا سيما بغداد — من التبخر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعدت وركوب الأخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس في اقتنائها إجابة لرغبة الأغنياء وتسديداً لشهر النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الحدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمداني ، وابن رسته الاصبهاني ، وأبو زيد البلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ،

غير أنا لا ننس أن الجاحظ هو الذى فتح لهم باب التأليف فى تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم فى الحقيقة عيال عليه — وإن توسعوا بعد — ومقتفوا أثره ومقلدوه ، الأمر الذى جعل أحدهم — وهو المقدسى — يقول : « وإذا نظرت فى كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ ^(١) »

وهى لعمري شهادة اعتراف بأسبعية الجاحظ فى خوض هذا الميدان ، وليس هو بأول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذى لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادى برسم أحد كبار أحابيه ممن سبقت عنايته بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وإن لم يسمه — أحد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضى القضاة أحمد بن أبى دؤاد ، والوزير الفتح ابن خاقان ، وإبراهيم بن العباس الصولى ؛ وأرانى فى غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ . وإن لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة فى فهرست ابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالى ^(٢) والعلامة النويرى ^(٣) تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملا منها بالحرف الواحد ونسبتها إلى مؤلفنا الكبير حسبما نشير إليه فى محله .

على أن « التبصر بالتجارة » ليس بأول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فإن « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعد فى قائمة ما نسب إليه ياقوت فى معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالى كثيراً ^(٤) .

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » للمقدسى - طبعة لندن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ . (٢) « ثمار القلوب » (٣) « نهاية الأرب » . (٤) « ثمار القلوب » ص ٤١١ وص ٤٣٨ .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ ألفاظاً دخيلة في غرضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخى فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية ^(١) .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل إلى فهم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الإسلامية مثلاً فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبداها كل من يعاني استقرار تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله على بن مقلة ، ثم كتاب « التبصر » هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين على بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه

(١) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، جزء تشرين أول ههنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده

خلال سنة ٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر أن كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامى معتاد تغلب عليه الصحة إلا فى الأعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحى الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فأنى لم أظفر بها فاقصرت على اراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدى فى اكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذى يابق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصمادحى

شعبان ١٣٥٠

وفى الصفحة التالية يرى القارى ذلك الأثر الجليل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :
سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ،
والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حنكته
التجارب ، وعونا لمن ما رسته وجوه المكاسب والمطالب ، وسميته بكتاب «التبصر»
والله ولي التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل أن الموجود من كل شئ ، رخيص بوجدانه ،
غال بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في أرض فليتحول الى غيرها .
وقالت الهند : ما من شئ ، كثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلا ،^(١)
وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق
أحدكم بأرض فليستبدل بها ^(٢) .

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة إلى نصر بن سيار وإلى خراسان ،
لكنه أورد لفظ « الادب » بدل « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز - طبعة
مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملا من الفصول التي أوردتها الجاحظ هنا ولم
يمزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار
والسوق » من كتابه « التمثيل والمحاضرة » : إذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها إلى
غيرها ، وإذا لم ترزق بأرض فاستبدل بها - وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما
ينفق فيها - وقال : شاركوا الذي أقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق - وقال : من
اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه ، ومن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبي هو عين
ما أوردته الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ .

وقالت الفرس : الرابع في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .
وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد أقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .
وقيل لبعض المياسير : بيم أكثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولا رددت ربحاً وان قل ، وما وصل الى درهم الا صرفته في غيرها ^(١) .
وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك ^(٢) ، وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعتك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما أربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخرز ^(٣) وخير التجارة البز .

باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

قال الحكميم ^(٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون

- (١) كذا بالأصل وكان المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة ولذا جعله مؤثراً
- (٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدى (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرها ، وكان الجاحظ يشير إلى كلام عثمان بن عفان - رضى الله عنه - حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢)
- (٣) بالأصل : الخرز - وأظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز - لتحصل القافية والمعنى . (٤) كثيراً ما يبتدىء الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكميم - أو : قال - وفي ظني أنه لا يقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تأليفه لاسيما كتاب الحيوان .

كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قاني،^(١) وإنما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكبر ولا يفسده مرّ الدهور ؛ وقيل إنما صار الذهب ثميناً لفلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فإنه لا ينقص البتة .

وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنهرج^(٢) من الدنانير يعتبر بحفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مرّ صدى ، والنهرج من الدراهم ما لح جرسى الطنين ، وانفضة صافية الطنين لا يشوبها صمم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُمانى ، وملح المذاقة قلزمى^٣ كلاهما يرسب في الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص واللمس

(١) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار ... وشعاع مركوم ... وهو الكبريت الأحمر - ومن هنا يستدل على أن الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه في تضاعيف تصانيفه من غير أن يشعر بذلك ، وأنه كان قليل المراجعة لما يكتب

(٢) النهرج - معرب نهره الفارسية - هو الدينار أو الدرهم المموء الزيف الردى (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجى وغيره) - وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج - وهو صحيح أيضاً .

فان ذلك للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك .

وزعم البحريون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطرية المشرحة وتؤخذ في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحماؤه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصدفي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي الصورة ليناً أملس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدحرج والاستواء ، واذا كانت حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمنهما ؛ والعُماني أنفُس وأرفع من القلزمي لأن العُماني عذب نقي صاف ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير^(١) .

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، وأثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصفى وأتقى كان

(١) على ذكر اللؤلؤ القلزمي قال أبو العباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (خط بمكتبتى) : ... وكذلك ما يوجد من الجواهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردى ولو كانت الدرة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن إذ ليس فيها شيء من أوصاف الدر النفيس .

أرفع لثمنها وأنفس ، والدرة اليتيمة قلزية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه ^(١) :

وخير الياقوت البهرمانى ^(٢) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني ^(٣) وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بمخصال ثلاث : برزانتها فى الوزن ، وبرودتها فى القم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد فى القم بطل ، عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافى النقى المضىء من أى لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها ^(٤) والياقوت الأحمر البهرمانى الصافى اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ فى الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذى يسمى « الجبل » مثقالين قوم بمائة الف دينار

(١) قال التيفاشى فى كتابه المذكور : والمرجان فى لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، ويستشهد بأبيات لامرء القيس - وقيل أنه أول شعرقاله - منها :
فاعزل مرجانها جانباً وأخذ من درها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفى اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر ويتخذ منها الحلى والأعلاق والسبح (٢) البهرمان : فارسى معرب معناه أحمر اللون ، قال التيفاشى : والياقوت البهرمانى هو أحمر نقى الحمرة لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفرو به سمي هذا الصنف من الياقوت (٣) الاسمانجوني : فارسى معرب مركب من كلمتين (آسمان) أى السماء و (كون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء (٤) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث فى قوله : كبرها وصغيرها - عائد على ياقوته .

واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار^(١) . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزاقته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع فيه ؛

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي التقى ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن النقي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛ وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين ألف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشيربام^(٢) الأخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج

(١) نقل أبو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الأحمر البهرمانى ، ثم الوردى ، ثم الرمانى ، وإذا بلغ البهرمانى نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذى يسمى (الجبل) مثقالين قوم بمائة ألف دينار فاشتراته المنصور بأربعين الفاً . ، (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدى من تأليف لشيخه شمس الدين بن ساعد الانصارى وسماه : بنخب الذخائر فى أحوال الجواهر ، جملة مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء فى ضمنها : وكان فى خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوته شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين ألف دينار ، وكان للمعتصم العباسى فص يسمى ورقة الآس ، لانه كان على شكلها وزنها مثقالان إلا شعيرتين اشتراه بستين ألف درهم (كتاب الفيث المنسجم ١ : ٨٣)

(٢) شيربام : فارسى معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذى ^(١) الأحمر الشديد الحمرة الملهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفـس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذى فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلورى الصافى الأبيض النقى ،

(١) البيجاذى : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، وأصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرب قديماً ووود في أشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :
أغرك منها لؤة عريسة علت لونها إن البجاذى أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دى خوى طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab. ,de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذى وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمى الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجاذى العقيق ، وهو جنس من الفصوص تسمية العامة البزادى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والفرعوني الفائق^(١) . وخير الماس^(٢) البلورى الصافى الأبيض النقى ، ثم الأحمر ،
وإذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ فى الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم
كان أبلغ فى الثمن وأرفع .

باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة

زعموا ان خير العود الهندى المندى^(٣) الذى لا غش فيه ، وكلما كان أصلب
فهو أجود وامتحان جودته بجمدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندى
الثقيل الوزن الذى يرسب فى الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذى يطفو على رأس
الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن
منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني فى كتاب (الحيوان) للجاحظ ج ٣ ص ١١٦
(٢) الماس : يونانى معرب وهو الديامنت وقد ورد ذكره فى الحديث الشريف
(النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) - وقال التيفاشى : الماس نوعان : الزيتى
والبلورى ، والزيتى أجودهما ، والبلورى أبيض شديد كلون البلور ، والزيتى مخالط
ببياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتب أزهار
الافكار - خط) .

(٣) المندى : منسوب إلى مندل ، وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكى الشذا
(راجع معجم البلدان لياقوت - لفظ مندل - وشفاء الغليل) - وقال أبو منصور
الثعالبي وفى كتابه العطر ، (للجاحظ) : وخير العود الهندى المندى ، وكلما كان
أصلب فهو أجود وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات
رائحته فى الثوب اسبوعاً وأكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

وخير المسك التَّبَتَّى ^(١) اليبس الفاتح وأرداه البُدَي ، وغش المسك من
الآنك ^(٢) وجند بادستر ^(٣) ودم الأخوين ^(٤) وسياه دارُوا ^(٥) وكلما خف وزنه
وفاح فهو أجود .

(١) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبي نسبة الى بلاد التبت ، وفي
كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت - وفي
« المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك
الامم الى ملوك فارس طرائف ما في بلادهم « فن الهند القيلة والسيوف والجلود ،
ومن التبت المسك والحريير والاولان ، ومن السند الطواويس والبيغاء ، ومن الروم
الديباج والبسط . » - ويؤيده ما نقل الاصطخرى وابن حوقل حيث قالوا : ولهم
(أى أهل ما وراء النهر) من المسك الذى يجلب اليهم من التبت وخرخير ما ينقل
إلى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك
للأصطخرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ - والمسالك والممالك لابن
حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧) .

(٢) آنك : فارسى معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان
أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعى وهو القصدير
(جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٣) جند بادستر : فارسى معرب وهو مثانة حيوان برى بحرى يكون فى الأنهار
العظام يسمى القندر (وعند الأفرنج Castor) وخصاه هى الجند بادستر (الدهيرى
٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٤) دم الأخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن أبى حنيفة الدينورى : هو صمغ
أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الأطباء ، ويقال له
الشيان أيضا (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) قلت : والمعروف أن دم
الأخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٥) سياه دارو : ويكتب أيضاً : سيادرو - وسيادروان ، وفي القانون لابن
سينا سيادوان . فارسى معرب ، وهو صمغ الجوز الشامى (راجع كشف الرموز
لابن حمدوش ط حبر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

وزعموا ان خير العنبر الأشهب الزابجى ^(١) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه
الا] هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانحرام
كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها بأى وجه ولم يبق ظاهراً

(١) الزابجى : سمي القلقشندى من أنواع العنبر ستة أضرب أولها الشحرى ثم
الزنجى (قلت : وهو لا محالة تحريف الزابجى أو الرابجى) وهو أجود العنبر وأفضله . .
(صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) — وجاء فى تاج العروس : (والرباحى جنس من)
الكافور (منسوب إلى بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو إلى ملك اسمه رباح
اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه . ورباح
موضع بالهند ينسب إليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً فى الغلط الحاصل فى الصحاح
للجوهري إذ نسب تارة الرابجى إلى بلد بالهند وتارة إلى دوية يجلب منها الزبد
— وذكر ابن البيطار — فى مادة كافور وعنبر — أن الرباحى مشتق من اسم
ملك هندی اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) وقال داود الأنطاكى
ويسمى الرياحى لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحى — بالموحدة — نسبة إلى
رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزى
فى مستدركه على المعاجم العربية : أن بعض المصنفين يسميه أيضاً الزياحى
Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 وبما تقدم يتضح
أن الاختلاف فى اسم الزابجى أو الرابجى قديم ولا يعرف على وجه التحقيق
نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه — ووقفنا أخيراً
على فصل يمنع نشره العلامة المحقق الاب انستاس مارى الكرملى كشف فيه الغطاء
عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت أن أصل اللفظ — الزابج — وهو اسم جزائر
ماليسية (جاوه وسومطره وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة إليه زابجى ، خرفته
النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابجى والرابجى وغير ذلك (راجع مجلة
المجمع العلمى الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

منها سوى ما هو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها [

.... وخير الوشى [في الثوب] السابري ^(١) والكوفي ، والأبريسى ، والمذهب المنسوج ثم الوشى الأسكندرانى الكتان البحت ^(٢) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشى الغزلى ، ثم الذى لا أبريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلى ، والابريسمى والكتان لا يبلغ فى الثمن ما يبلغه اليماني لأنه ربما بلغ الثوب الغزلى ألف دينار .

(١) السابري : نسبة إلى سابور ، وفى حديث حبيب بن أبى ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا استشف ما وراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور (النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢) - وفى التاج : والسابري ثوب رقيق جدا ، قال ذو الرمة :

لجأت بفسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابري مشرق

ومنه المثل : عرض سابري ، أى رقيق جداً (تاج ٣ : ٢٥٢) - وقال أبو منصور الثعالبي . والسابري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة إلى نيسابور وعرب فقبل سابري (ثمار القلوب ص ٤٢٩) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي العبارة الآتية فى لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أى تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس أن القطن لخراسان وإن الكتان لمصر ، ثم للناس فى ذلك فى تفريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذى من الكتان لا غير مائة ألف درهم (ثمار القلوب ص ٤٢٠) - وراجع أيضاً كتاب « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه » للمجيب - خط بمكتبتى .

وخير السنجاب^(١) القاقم^(٢) ثم الظهور منه ، ثم الخزري^(٣) ثم الخوارزمي ،
ثم الذي لا غش فيه من زغب الأرانب .
وخير الثعالب الأسود^(٤) الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغشُّ بصبغ ، ثم
الأبيض ، ثم الأحمر المحصري^(٥) ثم الأحمر الخزري ، ثم الخلنجي^(٦) .
وخير القاقم أكثرها أذناً : وخير السمور الصيني ، ثم الخزري الشديد
البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

(١) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ،
فيها يأوى ومنها يأكل ، وهو كثير بيلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة
وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن
ألوانه الأزرق (صبح الاعشى ٢ : ٥٠) أقول وهو المسمى باللاتينية *Scuriolus*
وبالفرنسية *Ecureuil* .

(٢) القاقم (بقافين الثانية منهما مضمومة) - هو دويبة في قدر الفار لها شعر
أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب (صبح ٢ : ٤٩)
(٣) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

(٤) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص
١٠٠) « وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود
وهو ضروب منه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ، ومنه الخلنجي وهو الاغم . »
(٥) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه « الممصري » أي المصبوغ بالمصرة
وهو العصفر ، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الأحمر أو
بحمرة طفيفة (المخصص ٤ : ٩٤) .

(٦) الخلنجي : المقصود به الذي يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف
(ابن البيطار ٢ : ٦٨) وقد عرف أبو الوليد المرا كشي اللون الخلنجي بقوله :
مخطط بسواد ودخنة (راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠)

وخير الفرش وأرفعه ثمنًا وأجوده المرعزى ^(١) اقرمزي الأرمني النير ، ثم
الخز الرقم ، ثم الخز القُطوع ^(٢) ثم الديباج على عمل الحسرواني ^(٣) الرومي ، ثم
الخز المديج على الميساني ، ثم البزبون ^(٤) ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً
بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة
بالذهب إلا الأرمني والميساني والبزبون .

وخير البزبون المسكى الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم الملفس ^(٥) ثم الساذج ،
ثم المعين ^(٦) ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل نقية ربما بلغت
في الثمن خمسين ديناراً .

(١) المرعزى والمرعزاء - بكسر الميم - إذا خففت مددت وإذا شددت قصرت
وأصله بالنبطية (مرعزا) وقد تكلمت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة
يهجو بها التيم :

كسائك الحنظلي كساء صوف ومرعزى فانت به تفيد

أى تبتخر عجباً (راجع المغرب للجوابي ص ١٣٧)

(٢) القطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشى في الثياب (المخصص لابن سيده)
(٣) الحسرواني ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عطاء
الأكاسرة ، وهو فارسي معرب (المغرب للجوابي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي) .
(٤) البزبون كصفور ، السندس ، وقال ابن برى : هو رقيق الديباج (تاج
العروس ٩ : ١٣٩) .

(٥) وبالأصل ، الملفس ، وهو تحريف بين ، والمفلس بمعنى المختم والمزركش
على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنى ومدرهم أى موشى على صورة الدنانير والدراهم .
(٦) المعين ، ثوب فى وشيه ترابيع صفار شبه باعين الوحش (المخصص ٤ : ٦٧)

وأبو قلّون^(١) من الزلالي^(٢) الخسروانيّ الروميّ القرمزيّ عل خطوط مختلفة البنفسجيّ في الأحمر والأخضر ، وزعموا أنه يتلوّن ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزيّ في المرعزيّ الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية المرعزيّ في الأبريسم الفسوية ، ثم الطبرية^(٣) ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالة الرويانية الطبرية ، ثم الآملية^(٤) ثم المصرية ، ثم

(١) أبو قلّون ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الأزهرى : يتراعى إذا أشرقت عليه الشمس بألوان شتى ، قال : ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع (تاج العروس ٩ : ٣١) — أقول : لفظ أبو قلّون يونانيّ معرب وهو في الأصل Abokalamon والنسيج المسمى أبو قلّون في المشرق وهو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٢) الزلية - بالكسر - البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي مستدرک التاج (مادة زل ج ٧ : ٣٥٩) والزلال الصافي من كل شيء . قال ذو الرمة :
كان جلودهن مموهات على أبقارها ذهب زلال

فكان المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

(٣) على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ : أن قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي أربع مائة درهم والقومسي منها مائة درهم (كتاب الحيوان ٣ : ٨)

(٤) قوله : الطيالة الرويانية نسبة إلى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوین (الاصطخرى ص ٢٠٦ - وابن حوقل ٢٦٩) - وكذا الآملية نسبة إلى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الأولى عاصمة طبرستان - وهي المقصودة هنا - مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها (المقدسي ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١) والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

القُومسية^(١) . وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحجر ، ثم الطالقانية البيض^(٢) ثم الأرمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النور البربرى الموشح الشديد بياضه المشبّع سواده الطويل الوشى الساباني^(٣) . وأظرف النور الذى يكون فى وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ؛ وإن كان سواده متصلاً ببعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، وإذا كانت فيه حمرة مع بياض يقق وسواد حالك كان أحسن وأبلغ فى الثمن ؛ ونمور البربر صفار ومقدار الجلد منها ما يغشى سرجاً مفرداً ، ومتتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان فى الثمن ولا

(١) القومسية ، نسبة الى قومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار وهى فاشية فى جميع الارض (المسالك والممالك ص ٢٧١) - وقال المقدسى : أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صفار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها النى درهم ، ولهم أيضاً أكسية وطبالسة وثياب رفاق من الصوف (كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالى هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ فى كتاب « التبصر بالتجارة » ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحجر ثم الطالقانية البيض ، (ثمار القلوب ص ٤٣٣) . وتبعه النويرى فنقل عين العبارة المقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر فى التجارة » (نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧) وهو تحريف واضح لنشابه ما بين لفظ « التبصر » و « النظر » - فلينبه .

(٣) الساباني ، نسبة إلى السابان ، وهو فى الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذى ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد من جلد النور البربرية ، كان أقرب إليه أن يقول فى نعتة زرزورى أى فى لون الزرزور وهو عربى صريح .

يرتفعان ، وخير النور الوشى ، وخير القطن الأبيض اللين الصغار الجبوب اللطيف
البياض الصافى .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع
من الأرض ^(١) : في ناحية المغرب بأرض الأندلس ، وفي رستاق يقال له تارم ^(٢)
وفي أرض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها إلا فرقة من اليهود يتولون
قلمها كل سنة في ماه اسفندارمذ ^(٣) فتببس تلك الدودة ويصبغ بها الابريس
والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بأرض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمنى بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ
منه المرعزى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت
على نفسها القز (المسالك والممالك ص ٢٤٤) .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً (الاصطخرى
ص ١٣١ وما بعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسى
٤٢٣ و ٤٢٦) .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثانى عشر من السنة الشمسية عند الفرس ،
واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذروز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء
الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والادوية ويتخذون الادهان
ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من
ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رقية على كواغد مربعة ويلصقون منها على الجدران
(راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى طبعة ليبسيج سنة ١٨٧٨
ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة
الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها) —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب
رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأعجمى
ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعا للعقارب والحشرات السامة . قلت : وكذلك في
مدينة حلب

وزعموا أن البلسان شجر بأرض مصر يُشرطُ في أيام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود في الأرض كلها ما خلا مصر^(١) .
وحبّ الزَّلم^(٢) ينبت بأرض شهرزور ، وزعموا أنه جيد للجعاع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد إلا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له فَازَهَر^(٣) فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل حُملا جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

باب يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند : البيور والنور والفيلة وجلود النور والياقوت الأحمر والصندل

(١) البلسان المصرى ، قال الاصطخرى : وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضباني يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان في الدنيا إلا هناك (الاصطخرى ٥٤) وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة (المسالك والممالك ص ١٠٦) .

(٢) حب الزلم ، عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيد المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت في ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط (جامع مفردات الادوية ٢ : ١٦٦ و ٤) — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانيات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيوانى ومعدنى وهو عند الافرنج Bézoar واسمه فارسى معرب وأصله بازهر ومعناه « منفى السم » — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الأحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشى في كتاب أزهار الافكار والقزوينى في عجائبه وسواهم كثير ، فليراجع هالك .

الأبيض والأبنوس وجوز الهند ^(١) .

ويجلب من الصين : الفرند والحريز والغضائر ^(٢) والكاغد والمِداد والطواويس والبراذين الفرّة والسروج واللُّبود والدارصيني وادارند ^(٣) الخالص ، ويجلب من الروم : أوانى الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والابرون والديباج والبراذين الفرّه والجوارى وطرائف الشبّة والأقفال المحسكة واللورا ^(٤) ومهندسوا الماء وعلماء الحراثة والاكارة وبناء الرخام والحصيان .

(١) قال أبو منصور الثعالبي : ولببلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها منها الفيل والكر كدن والبير والبيغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبيل والفلفل وغيرها من العقاقير (ثمار القلوب ٤٢٣) .

(٢) الغضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارفغ الغضائر ما يؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شعر : الغضار الطين الأحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذى يسمى الغضار . وقال ابن دريد : فاما الغضارة التى تستعمل فلا أحسبها عربية محضة (تاج العروس وغيره) .

(٣) لفظ « أدارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر أنه قصد الراوند . قال مرنضى : الراوند الصينى وهو أنواع أربعة أعلاها الصينى ودونه الخراسانى ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والأطباء يزيّدونها الفأ فيقولون « راوند » ، ولفظه ليس بعربى محض (تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد)

(٤) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك أن الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا أن يكون اللاذ واللاذة وهى ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والمعجم اللاذ (المخصص ٤ : ٦٨) وفى القاموس : اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

ومن أرض العرب : الخيل العرب والنعام والنجائب والقانة ^(١) والأدَم ^(٢) .
ومن البربر ونواحي المغرب : النمر والقرظ ^(٣) واللبود والبزاة السود .
ومن اليمن : البرود والأدَم والزرافات والجواميس ^(٤) والعقيق والكنُذُر ^(٥)
والخِطَر ^(٦) والورس ^(٧) .
ومن مصر : الحمر المهايج ^(٨) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ،
ومن المعدن الزبرجد الفائق .

(١) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلى ينبت بجزيرة العرب . زاد الأزهري
ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي (لسان العرب) .

(٢) الأدم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٣) بالاصل القرظ ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق
السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به
(المعاجم اللغوية) .

(٤) كذا بالاصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد .
وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم (المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية
في تونس) .

(٥) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللبان عند الأطباء وغيرهم
(تاج ٣ : ٥٢٩) .

(٦) الخِطَر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ،
وقال أبو حنيفة هوشيه بالكتم وكثيراً ما ينبت معه واحده خطرة (تاج ٣ : ١٨٣)

(٧) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول أربعة قد
ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق (كتاب ثمار
القلوب ٤٢٥) وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ،
فليتنبه .

(٨) علي ذكر الحير المصرية قال الاصطخري : ويمصر بغال وحبر لا يعرف في

ومن الخزر : العبيد والإماء ، والدروع والبيضات والمغافر .
ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب .
ومن سمرقند : الكاغد ^(١) .

شئ . من بلاد الاسلام أحسن ولا أثنى منها ، ولهم من وراء أسوان حير صغار في مقدار الكباش معلة تشبه البغال المعلة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حير يقال لها (السملاقية) بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلئ ففى أسير تلك الحير (راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧) .

(١) كاغد وكاغد وكاغذ ، لفظ صينى معرب دخل العربية بطريق الفارسى ، ولم يكن الكاغد معروفا بالشرق فى أول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردى المصرى أو على الرقوق ، وأول ظهور الكاغد فى الاسلام كان فى سمرقند صنعته هنالك أسارى من الصين أسرههم الأمير زياد بن صالح فى وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار فى بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعته فى بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى أوربا واشتهر — قال أبو منصور الثعالى : كواغد سمرقند هى من خصائصها التى عطأت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان فى الآفاق (ثمار القلوب ص ٤٣١) — وذكر المقرئى فى خطه ان جعفر البرمكى هو أول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد فى الدواوين (النويرى ١ : ٣٦٧) .

أقول : ومن أشهر الأصناف التى كانت تصنع قديماً فى العالم الاسلامى : الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السلجقلى نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفرى منسوب الى جعفر البرمكى الوزير العباسى ، والطلحى منسوب

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والقوشنة ^(١) .

ومن يوشنج : الكبر المربي .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية ^(٢) .

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد واليرمق ^(٣) اللين

الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراثة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها (انظر كتاب الفهرست لابن التديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦) .

(١) القوشنة ، ويسمىها أبو بكر بن الفقيه الهمداني (القوشنة) (كتاب البلدان ص ٢٥٥) ولم نهند الى معرفة ماهيتها . قلت : وهي معروفة الآن بالقوشنة .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمى كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروى وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجانى ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقى الى الان اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تختص به مرو الثياب (الملحم) (ثمار القلوب ص ٤٣١) - ومن ينسب إلى مرو من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) . أقول : والمتعارف هو أن النسبة إلى مرو الروز : مروزي ، وإلى مرو الشاهجان : مروى ، للتفريق بين المدينتين .

(٣) لم نقف على معنى للفظ (اليرمق) وكأنه تحريف (الزرمق) بالفتح ، فارسي معرب (زرمه) وهو اللين الناعم من كل شيء ، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه :

اجر خزاً خطلاً وزرمقا ان لريعان الشباب عتقا

(تاج ٧ : ٧٥) — ويمكن أن يكون ايضاً (يلقى) ج يلامق وهو ضرب من

الفراء المبطنه .

والابريسم الجيد^(١) .

ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم^(٢) الرقاق والطيايسة من الصوف .
ومن دباوند^(٣) : نصول السهام .

ومن الرى : الخوخ والزنبق واليرموق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط

(١) قال الاصطخرى ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شئ كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه (الاصطخرى ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣) — وقال المقدسى ، ولاهل جرجان المقانيع القزيات تحمل إلى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون (أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) المقارم ج مقرمة وهى الستر ، وعن ابن الاعرابى هى المحبس نفسه يقرم به الفراش قال : وهو ثوب من صوف فيه ألوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة ، وقد تزين المقارم فى أطرافها بالرجائز وهى نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع (المخصص ٤ : ٧٥) أقول : وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé .

(٣) دباوند — كذا بالأصل وهو عندى تحريف من الناسخ وصوابه (دباوند) وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه : وبكرمان مدينة يقال لها (دمندان) وهى مدينة كبيرة واسعة وبها أكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفير ومعدنه بجبل يقال له (دباوند) جبل مرتفع شاهق فى الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ (كتاب البلدان ٢٠٦) .

والقلانس الملائكية والقسيات^(١) السكتان والرماني^(٢) .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصينى والتفاح والملح
والزعفران والاشنان والاسفيداج^(٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد
والشراب من الفواكه^(٤)

ومن قومس : الفؤوس والأمساح والجتر^(٥) والطيايسة من الصوف .

ومن كرمان : النيلج والكمون .

ومن الجور : الجوارشن^(٦) .

(١) بالأصل : العسيات ، وعندى أنها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب
أولا من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها فى الحديث
الشرىف (راجع النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير) وقال ابن سيده :
الثياب القسية تنسب إلى قس وهو موضع وهى ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر
وقد نهى عن لبسها (المخصص ٤ : ٧٢) .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الرى — وهو اثنا عشر ألف
الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل (بمار
القلوب ٤٢٨) .

(٣) الاسفيداج ، فارسى معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه
الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف فى تونس بالباروق ، وقد أطلال ابن
البيطار فى ذكر صنعه وتحضيره فليراجع (جامع المفردات ١ : ٣١) .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصفهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها
— وهو واحد وعشرون ألف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل ألف
الف رطل ومن الشمع عشرون ألف رطل ، وكحلها موصوف بالجودة والزعفران
بها كثير (ثمار القلوب ٤٢٧) .

(٥) الجتر ، فارسى معرب وهى المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذا بالأصل والأقرب أن تكون الجواشن ج جوشن وهى الدروع وقد

وبزر قطوانا^(١) .

ومن برّ ذعة : البغال الفرّة^(٢) .

ومن نصيين : الرصاص .

ومن فارس : الثياب الكتان التوزي والسابري وماء الورد^(٣) ودهن النيلوفر ودهن الياسمين والأشربة .

ومن فسّا : الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .

ومن عُمان وسواحل البحر : اللؤلؤ .

ومن ميسان : الأنماط والوسائد .

ومن الأهواز : ونواحيها السكر والديباج الخز^(٤) .

ذكرها الجاحظ في المحاسن والأضداد ، (فصل محاسن الهدايا) .

(١) بزر قطوانا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium (راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الأدوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك) .

(٢) قال الاصطخرى ويرتفع من نواحي بر ذعة بغال تجلب إلى الآفاق (المسالك ١٩٠) وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجاة والصحة والجلد والصبر إلى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره (ابن حوقل ٢٤٨) .

(٣) قال الثعالبي جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب إلى أقاصى المشرق والمغرب ... وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة (ثمار القلوب ٤٢٧ - راجع أيضا الاصطخرى ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣) .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون إلا بها على

... والصناعات والرقاصات ^(١) وأنواع التمر والدبس والقند ^(٢) .
ومن السوس : الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم ^(٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل : الستور والمسوح ^(٤) والدرّاج والسُماني .

كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال
أبو الطيب المتنبي :

تقضم الجمر والحديد الأعادي دونه قضم سكر الأهواز
وكان يحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز - وهو خمسة وعشرون ألف
درهم - ثلاثون ألف رطل من السكر ؛ وبما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج
تسروخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض :
كأن الذي دبجت تسرو وطرزت السوس فيه تسرو

(ثمار القلوب ٤٢٦) .

(١) حصل هنا ترهل عطيل قراءة بعض الكلمات . أما لفظ « الصناعات » ،
الواردة بالأصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها إلا « النصاحات » ، وهي الجلود
واحدها نصاحة (راجع المخصص ٤ : ١٠١) . . . وكذا قوله « الرقاصات » ، فهي
عندى « الطراحات » ، ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت .
(٢) القند والقندة ، معرب « كند » ، وهو عصارة أو غسل قصب السكر إذا جمد
وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الأفرنج Sucre candi أي سكر « رني »
(٣) شاه سبرم ، ويقال أيضاً شاه سفرم وشاه سقرم ، نوع من الريحان كان يسمى
الريحان السلطاني والحبق الكرمانى . واللفظ فارسي معرب « شاه سيرغم » ، وهو
شاه عرب قريباً لوقوعه في شعر الأعشى (شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ -
وكتاب المعتمد لابن رسولاً ص ١٧٨ وغير ذلك) .

(٤) المسوح ج مسح ، عن ابن سيده كساء مخطط يكون في البيت يستتر به
ويقترب (المخصص ٤ : ٨٠) ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قديم

ومن حلوان : الرمان والتين والكامخ ^(١) .
ومن أرمينية واذرييجان : اللبود ٠٠٠٠ والبراذع والفرش والبسط الرقاق
والتكك والصوف ^(٢) .

باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور
وغير ذلك من جوارح الطير

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغراية التي

الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى أن الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم
Mousseline تذكراً لأصل موردها .

(١) الكامخ ، فارسي معرب وأصله « كامه » ويجمع على كواميخ ، قال الجواليقي
الكامخ الذي يؤتد به (كتاب المعرب) وقال مرتضى وغيره في شرح الكامخ
ومنهم من خصه بالمخللات Hors d'œuvres التي تستعمل لتشهى الطعام (تاج ٢ :
٢٧٦) وكذا شفاء الغليل - أقول والمعنى الأخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه
الجاحظ نفسه في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢) .

(٢) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذرييجان ، وبهذه البلاد وفي أضعافها
من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة إلى
النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الأرمينية التي تعمل بسلماس ،
تباع التكة من دينار إلى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الأرض . ثم قال
وأكثر ما يخرج إلى بلاد الاسلام من الديباج والبزبون وثياب الكتان الرومي
وثياب الصوف والأكسية الرومية فن اطرايزندة (المسالك والممالك ص ٢٤٦)
- وقال الثعالبي وكان يحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينية كل عام - وهو
ثلاثة عشر ألف درهم - من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم
خمسائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازياً (ثمار القلوب ٤٢٨) .

بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم البحر المشرقة ، ثم الديزج^(١) .

وخير الشواهين السود الغراية البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغراية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم البحر البحرية ، الأحمر البطن والصدر يكانات^(٢) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ، الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان^(٣) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين^(٤) فذلك غاية^(٥) .

(١) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين أو هوبين لونين غير خالص (تاج ٢ : ٤٢) ويروى أيضا ديزج بالراء المهملة (النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢) .

(٢) يكانات ، فارسي معرب وأصله يكانه ، ومعناه واحد والمقصود هنا معلم بنقط بيض .

(٣) الدستبان ، فارسي معرب وهو القفاز من جلد يتخذه الياز في يده عند ما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٤) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحو أربعمئة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٥) قال القلقشندي : المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب المصايد والمطاردة الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادهما ، سائل السفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الحصر ، قليل الريش لينة ، تام الخوافي ، ممتلئ العكوة (صحح الأعشى ٢ : ٥٨) — وقال أيضاً في صفة البزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم : المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والاشهب الشديد الشبهة

وزعموا ان اليؤيو^(١) ذكورة الصقور ، والعفصى^(٢) ذكورة البواشق
وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيو الصغير .

وقالت الفرّس : لا يكاد الفرّس والبازى يكونان حسنى المنظر لا مخبر لهما ، ولا
حسنى المخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

باب آخر

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق
من الجواهر والأحجار اذا كان أصنى وأضوأفهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية
والأهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأخضر ، وكل انسان من الشريف والوضيع
اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً
وأجمل حالاً وأنزر طعاماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية
اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنا ، وكل
عدو صغير أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدى وأشدّ حسداً ، ومن لم يعرف مأواه
فمحذور قر به ؛

الشبيه بالأبيض ، والأصفر المديج الظهر - ثم قال : ان ذكر البازى يسمى الزرق
(صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧) .

(١) « اليؤيو » قال القلقشندي : وتسميه أهل مصر والشام الجلم . هو طائر صغير
أسود اللون يضرب للزرقه وسموه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لأن
له سرعة كسرعة المقص في قطعه (صبح ٢ : ٦١) .

(٢) « العفصى » طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص - وورد
في صبح الاعشى اسم العفصى « بالفقى » وفي التعليق عليه قال مصححه « العفصى » ،
(٢) وكلاهما تحريف والصواب العفصى كما هنا للسبب الذى بينا - قال القلقشندي :
هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس (صبح ٢ : ٥٧) .

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فأجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتناوبوا ، والقضاء جالب يجلب الأمور ، وخير النوم ما يذهب الالام والكسل ؛

ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع أن يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس أن يكون ليناً ناعماً ^(١) .

وكانت العجم تقول : القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراصة الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح ، وأن يرى لونه الى الصفرة والكود من غير مرض ، وأن يكون طائش القلب ، وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائياً ، وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراصة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهى ، سبط الجبين غير منقبض ولا فزق علق قاق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغي للعاقل أن يعتد بقول سبعة من الناس : بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنام ، والنساء .

تم الكتاب والله المنة والحمد كما هو اهله

وصلى الله على محمد وآله وسلم

(١) ذكر الجاحظ (الحواس الخمس) غير ما مرة في غضون تأليفه المطبوعة ، قال : هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة - ولم يقل اللس (كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩) .

تتمة للناشر

رأينا من المناسب أن نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في «ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها» — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه ^(١) .

ولولا أن الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادى وذهب الشراء والبيع والأخذ والاعطاء ، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ، ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» . وقال الله عز وجل : «وقدر فيها أقواتها» .

فخص الله — جلّ وعزّ — بلاد «السند» «والهند» بأنواع الطيب والجواهر كالإبواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكر كدن والفيل والطاووس والأعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخلونجان والدارصيني والنارجيل

والهليج والتوتياء ، والقنا والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة .

وخص أهل « الصين » بالصناعات وأعطاهم ما لم يعط أحداً فلمهم الحرير الصينى والغضائر والسرّج وغير ذلك من الآلات المحكّمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم أيضاً مسك إلا أنه ليس بمجيد ، وقالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة . ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والخلق بالأبنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومى والبزىون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى .

ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمى فهم رماة الخلق ولهم الخيل العجيبة والأفراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيههم شبيه بزى العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن .

ولأهل « المغرب » البغال البربرية والجوارى الأندلسية والنور الزنجية .

ثم ما قد خص به أهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتمايح ، ولهم السمك الرعاد والاستقنور ، ولهم الثياب الديقية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من أنواع ثياب الكتان والصوف من الأكسية ، ولهم البغال المصرية والحر المرسية والثياب التنيسية والاسكندرانية .

ولأهل اليمن الحلل اليمنية والثياب السعيدية والمدنية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمنية ، وفي بلادهم القردة والنسنان وغير ذلك من أنواع العجائب .

ثم العراق قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خصّ الله جلّ

وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشى والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز و بغداد والحجاز مثل الهيمرون والمُشان وقسب العنبر والنرسيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت الى قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذى لا يشركهم فيه أحد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات والفضائر الحجرية ، ولهم الدّارش واللكاء خاصة وفيهما أعجوبة ، وذلك أن الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش أن يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء أن يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على أنهم قد امتحنوا ذلك وجربوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى مع تربتها ومائها وأمرهم باتخاذها هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذى يتكسر . ولأهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور والبسط وعمل الميسانى والحرير والدّرانك والدّورنك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد .

ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور النخيل ، وذكر « الجاحظ » أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجى موصوف و بديع غريب مع طيب عجيب .

ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور .

ولأهل (السوس) خاصة (وجنديسابور) حذق في اتخاذ أنواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لأهل (تستر) .

ثم (الجل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبين واللوز .

ولأهل (همدان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع أهل الأرض .

ولأهل (الري) الأطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الأمشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الأكسية البيض الطرازية والطيلاسة البيض السرية والثياب المنيرة .

ثم بغداد الثانية أعنى (اصبهان) وما أعطى أهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بأنواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعنابية والملاحم العجيبة والحلل الأبريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية .

(ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظرفية المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظرفية عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا ، فهم أحقق الأمة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجبائية والسينيزية ، ولهم الماورد الجورى والطين السمراني والأكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية .

ولأهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه والصغر .

ولأهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوین) حظ من عمل الأكسية الرويانية

والأملية واتخاذ الستانك والمناديل وأشياء كثيرة من أنواع ثياب القطن والصوف
والابرسم والكتان .

ولا هل (جرجان) من الابرسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل إلى جميع
البلدان ، ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك .

ولا هل (نيسابور) الثياب الملحمة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس
هذا إلا لهم .

ولا هل (مرزو) الثياب المرزوية والملاحم الفاتقة التي هي أعلى الملاحم .
(ومخراسان) فواكه كثيرة سرية وأعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكشمهاني
والكشمش وبطنج يقدد ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها إلى الخلفاء في
قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالأصل) ، ولهم الاشتراغاز
والانجذان والغوشنة والكيككان والرخين والمابن ، وبها معدن الفيروزج
واللازورد والرُكْب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الاشكن والخلنج وبها
الختو .

(وبالترك) السمور والفنك .

(وبالْتُبَّت) المسك التُبَّتِي والدرق التبتية .

فسيحان من أعطي كل بلد نوعا من الخيرات ، وجنسا من الصناعات ، وتبارك
الله أحسن الخالقين .

فهرس التبصر



صفحة

٣ توطئة : بقلم الناشر

٩ متن التبصر

٩ آراء المتقدمين في الحث على التكسب بالتجارة

١٠ باب معرفة الذهب والفضة وامتحانها

١١ باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفة قيمتها

١٦ باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة

١٩ باب معرفة الثياب وما يستجد منها

٢٥ باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجواري والأحجار وغير ذلك

٣٤ باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك من الجوارح

٣٦ باب آخر

٣٨ ملحق : (فيه تنمة للناشر) في ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من

الأمتعة دون غيرها - منقول عن ابن الفقيه الهمداني

